

## قمم مكة تفاقم المأزق السعودي

بقلم: عبد العزيز المكي

كنت متربداً في الكتابة على قمم مكة السعودية الأخيرة، قمة مجلس التعاون الخليجي، والقمة العربية الطارئتان، والقمة الاعتبادية الرابعة عشر لمنظمة مؤتمر التعاون الإسلامي، خصوصاً وإن الكثير من المحللين والمراقبين إنبروا للكتابة عنها تحليلًا ومتابعة، وكشفاً للاهداف والدوافع، لكن التحفظ القطري على بيانات هذه القمم دفعني وحفزني إلى تسجيل بعض الملاحظات على هذه القمم، فوزير الخارجية القطري الشيخ محمد عبد الرحمن آل ثاني أكد في تصريح للتلفزيون العربي يوم 2 حزيران 2019 أن "بيان القمتين الخليجية والعربية كانا جاهزين مسبقاً ولم يتم التشاور حولهما" وأكّد الوزير أن الدوحة تحفظ على هذين البيانات لأن بعض بنودهما تتعارض مع السياسة الخارجية للدوحة وقال "قمنا مكة تجاهلت القضايا المهمة كقضية فلسطين والحرب في ليبيا واليمن، وكنا نتمنى أن تضع أسس الحوار لخفض التوتر مع إيران". وسبق الاعتراض القطري، رفض العراق ما جاء في صياغة البيان الختامي للقمة العربية التي اختتمت أعمالها يوم الجمعة الموافق 31/5/2019 ما يو الماضي.. حيث قرأ أحمد أبو الغيط الأمين العام للجامعة العربية اعتراض ورفض العراق، ومما جاء فيه .. إننا لم نشارك في صياغة البيان الختامي وإن العراق يسجل اعتراضه على البيان الختامي في صيغته الحالية) وكان الرفض العراقي قد جاء استكمالاً لما كان الرئيس العراقي برهن صالح قد اكده في خطابه في القمة العربية ، حيث جاء خطابه مخالفًا لما طرحته الملك سلمان ولما طالب المؤتمرين العرب به، وهو إدانة وتجريم جماعة الحوثي، ومحاصرة إيران والتصدّي لها، حيث رفض صالح الحرب أو معاواد إيران، وأعرب عن أمله في عدم وقوع أي حرب مع الجارة إيران.

على أن الرفض العراقي ، ثم القطري لبيانى القمتين الخليجية والعربية الختاميين، أكد بما لا يقبل الشك، أن هذه البيانات فُرضت على الحاضرين ولم يساهموا في وضعها أو المصادقة عليها، بدليل أن المسؤولين القطريين طالبوا عادل الجبير وزير الدولة للشؤون الخارجية، بنشر مسودة هذين البيانات، عندما اعترض على التحفظ القطري، وقال يجب إبداء مثل هذا التحفظ وقت إنشقاق القمة، وليس بعد إقصاضها، وما يعني ذلك أن المسودات تحتوي على مصادر تختلف عما أعلنه في الصيغ النهائية لهذه المسودات، الأمر الذي يؤكد جملة معطيات ذكر منها ما يلي:

1- تراجع مركزية وثقل السعودية، بل فقدانها هذه المركزية وذلك الثقل، في مجلس التعاون الخليجي،

والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي، فكانت الدول العربية تحسب لل سعودية ألف حساب، عندما كانت تتبع سياسات يصفها البعض بالمتغللة وغير الطائشة، مثلما هو حاصل الان! كما أنها لا تتدخل بشؤون الدول العربية الاً من وراء الكواليس، أو بشكل لا يتغير الشبهات تجاهها . وبالتالي فإن فقدان السعودية لهذه المركزية والثقل، جعل من الصعوبة بمكان على أن النظام السعودي أن يجعل من نفسه مركزاً للدواائر الثلاث الخليجية والعربية والاسلامية، ومن ثم أخفاقه في خندة هذه الدواائر حوله في مواجهة إيران ومحورها، فالزمن الذي كان فيه هذا النظام يستطيع خندة الدول العربية والخليجية وغير الخليجية قد ولّى إلى غير رجعة.

2- أن سكوت ممثلي ومندوبي الدول العربية والخليجية، أو زعماء المشاركين في القممتين الخليجية والعربية، يكشف بوضوح مجازات هؤلاء للنظام السعودي نظراً لحاجة بعضهم للأموال التي يغدقها هذا النظام لشراء هذا التأييد، الذي يبقى مهما كان هذا الاغداق السعودي المالي، في الأطار الصوري الاعلامي دون أن يتعدى إلى أبعد من ذلك، فحينما طلبت السلطات السعودية من بعضهم الوقوف عسكرياً إلى جانبها ضد الحوثيين في اليمن، وأيضاً التجييش لحرب على ايران رفض هؤلاء رفضاً قاطعاً .. فعلى سبيل المثال قال المعاذ في جهاز الامن الاماراتي وصاحب حساب (بدون ظل) أن رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان رفض الوقوف إلى جانب السعودية ضد ايران، واضاف "رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان، في حديث غاضب مع محمد بن سلمان، (قال له) لن أقف معكم ضد إيران، هناك صدام دائم داخل باكستان بين السنة والشيعة، وإذا وقفت مع أي جانب ستترتد على داخلياً". وإذا أردتني وسيطاً سا عمل ما في وسعي لايقاد التصعيد". وكما أشرنا في بداية هذه السطور فان وزير الخارجية القطري اعترض على التصعيد السعودي ضد ايران، داعياً إلى الحوار معها ومؤكداً على ضرورة منح الاولوية لهذا الامر ، ولقضايا اليمن وفلسطين ولبيبا ، في القمم العربية والاسلامية. يضاف إلى ذلك أن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي كان قد رفض مشاركة الجيش المصري في محاربة الحوثيين، واعلنت السلطات المصرية أيضاً في أكثر من مناسبة أنها لا تؤيد الحرب مع ايران، بل وتفضل الحوار معها .

3- يعني ما تقدم إسحالة نجاح النظام السعودي في تشكيل تحالف عسكري من الدول العربية والاسلامية، يكون هذا النظام محوره ومحوله، نيابة عن أمريكا والكيان الصهيوني، فالسلطات الامريكية والصهيونية اعلنت صراحة أنها بقصد تشكيل حلف عسكري أو (ناتو عربي) بالتحالف بين الدول العربية (السنوية) المعتدلة بقيادة السعودية والكيان الصهيوني، وبدعم أمريكي وغربي وصهيوني، ليقوم هذا الحلف بالحرب على ايران نيابة عن أمريكا لأن الأخيرة لا تريد بعد تجربتي العراق وافغانستان التورط في حرب جديدة مباشرة، ولذلك فإن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، ورغم تلویحه بالحرب ضد ایران في بداية الأمر بداع من صدور ادارته مثل جون بولتون مستشاره للأمن القومي، ومايك بومبيو وزير خارجيته، وتعزيزه

هذا التلویح بارسال عدد من البوارج الحربية والقاذفات الاستراتيجية بـ 52، الا أنه تراجع في النهاية واعلن صراحة أنه لا يريد الحرب، ودعا المسؤولين الإيرانيين الى الحوار، أكثر من ذلك أن ما يك بومبيو أعلن مؤخراً أن الرئيس الامريكي يريد الحوار مع ايران بدون شروط مسبقة، أي أنه تنازل عن الـ 12 شرطاً التي كان بومبيو نفسه قد أعلنتها للحوار مع طهران!!.

٤- اللافت أيضاً، أن النظام السعودي حاول توظيف المقدسات الاسلامية من أجل دفع الدول العربية والاسلامية الى التخندق معه ضد جماعة الحوثي وايران، فاختيار مكة المكرمة لانعقاد هذه القمم، الهدف منه إسياع نوع من المسحة الاسلامية والقدسية على هذه القمم وعلى القرارات التي تتخذها، وأيضاً تبنيها للأهداف السعودية التي اعلن عنها وزير الدولة للشؤون الخارجية عادل الجبير وهي إدانة الحوثيين بصفتهم المنشآت النفطية، وما أسماه التصدي للتدخلات الايرانية في الشؤون العربية بحسب مزاعم الجبير، ومن المفارقة أن النظام السعودي يمنع الآخرين من استخدام الدين لاغراض سياسية ويعتبر ذلك إرها باً وانحرافاً عن الشريعة الاسلامية، وينج بالسجون العشرات من الدعاة والعلماء والناشطين على هذه الخلفية، فيما يوظف وبشكل فج الدين ومقدسااته للتحقيق الاهداف وأغراض سياسية، كما في الحالة التي تحدثنا عنها قبل قليل، أي توظيف مكة المكرمة وقدسيتها في تعبيئة الدول العربية والاسلامية وراء الاهداف السعودية المشبوهة في قتل الشعب اليمني وفي التحشيد ضد دول إسلامية وعربية خدمة لأمريكا واسرائيل. وكما اشرنا قبل قليل أن النظام السعودي وعلى الرغم من توظيفه للبعد الديني لمكان إنعقاد القمم الاً أنه أخفق في تحقيق أهدافه المشار اليها..

واذا اضفنا الى توظيفه الاموال الطائلة والرشوات ، فإن ذلك سوف يجعل بل جعل النظام في مأزق مركب ومعقد وخطير ، فمن ناحية أن الرئيس الامريكي ترامب تراجع عن إحتمالات شنه الحرب على ایران ، ومن ناحية أخرى ان النظام السعودي فشل في قممه الثلاث في تحقيق ما كان يصبو اليه أو على الأقل يعوض له ولو بنسبة معينة عن التراجع الأمريكي..

والسؤال الذي بات يطرح نفسه، هو لماذا وصل النظام السعودي الى هذا المستوى من المآزق؟ ولماذا فقد مركزيته التي كان يتمتع بها فعلى سبيل المثال ما أن طرح الأمريكان والصهاينة وعن طريق الملك عبد الله بن عبد العزيز قبل عام 2000 / يوم كان ولياً للعهد ، ما سمي بمبادرة الملك عبد الله للتسوية مع الكيان الصهيوني تقضي بالتطبيع العربي مع العدو، مقابل ما يسمونه السلام مع الفلسطينيين ، فهذه (المبادرة ) سرعان ما تحولت الى مبادرة عربية حينما تبنتها قمة بيروت العربية في عام 2000م .. لماذا لم يقف العرب في قمم مكة وراء النظام السعودي مثلما وقفوا وراء مبادرته في قمة بيروت؟ أو على الأقل، وقوف الدول الخليجية وراء أهدافه؟ حيث رفضت عمان والكويت وقطر التخندق في خندق النظام

بأجماع الخبراء والمحللين العرب وغير العرب من المحايدين والمنصفين، أن النظام السعودي نفسه هو الذي أوصل حاله إلى هذا المستوى المزري بسبب سياسات سلمان وابنه ، فيدلاً من أن تكون السعودية المحور الموحد والجامع لدول مجلس التعاون الخليجي، وصاحبة الكلمة المسموعة من هؤلاء الحلفاء ، تسبب هذا النظام في تعميق الانقسامات والاختلافات بين دول هذا المجلس، فالخلاف مع قطر وصل مرحلة الزحف العسكري لاسقاط النظام القطري، كما كشفت الكثير من التقارير التي تسربت من مصادر غربية وأمريكية وحتى خليجية أيضاً، أما الحديث عن التوتر والتصعيد الاعلامي والسياسي مع عمان فقام على قدم وساق، وخلاف كبير أيضاً مع الكويت، ذلك بسبب أن بن سلمان وحليفه بن زايد ي يريدان مصادرة رأي ومواقف هذه الدول، وتحويلها على دول تابعة لهما على غرار ما حصل في البحرين، والتخلص من السياسة السابقة القائمة على الحوار والمشورة مع أنظمة الدول المشار إليها .. ومن المفارقة أن يتسبب بن سلمان وأبوه في كل هذه الانقسامات بين دول مجلس التعاون، وفي الوقت نفسه يطلب منهم الوقوف معه في حربه مع اليمن، وفي مواجهة ايران دون التفكير بمصالحهم ، وبالاضرار التي يمكن تحلق بهم وبشعوبهم!

هذا من جهة ومن جهة ثانية، أن النظام السعودي في الوقت الذي سعى فيه إلى خندة الدول العربية في مواجهة ايران، ويحول اهتمامها من الخطر الصهيوني إلى ما يسميه الخطر الايراني، وفي الوقت الذي يطلب أعلامه وسياسيوه بالدفاع عن العروبة وعن الدول العربية وحمايتها من التدخلات الايرانية (بحسب مزاعمه، هو الذي يتدخل في شؤون هذه الدول وهو الذي يشكل التهديد الخطير لأمنها القومي، فهو المسؤول عن استمرار الحرب الداخلية بالاشتراك مع الامارات في ليبيا ، وهو الذي يتآمر الآن على الشعبين السوداني والجزائري ويحاول مع النظام الاماراتي سرقة ثوريتهما ، وهو الذي يحتل البحرين ويقهر شعبه وهو الذي يحاصر الشعب القطري، وهو الذي يشن الحرب الظالمة على الشعب اليمني المظلوم ويرتكب المجازر تلو المجازر بالاشتراك مع النظام الاماراتي بحق هذا الشعب الذي لم يعتد على السعودية أو على الامارات ولم يهدد أمنهما، سوى أنه أراد أن يحقق الاستقلال ويبني نفسه بعيداً عن التدخلات الخارجي السعودية وغير السعودية في شؤونه الداخلية!! و ايضاً يتآمر على سوريا ولبنان والعراق، كل ذلك خدمة للكيان الصهيوني وخدمة الأجندة الأمريكية في المنطقة . وبعد كل هذه التدخلات وهذا التحرك العدوانى ضد الدول العربية، فهل تصح دعاوى النظام بالتشدق بالدفاع عن الأمن القومي العربي؟ وبالتالي من الطبيعي أن تسخر الدول العربية وأنظمتها من شعارات النظام السعودي في الدفاع عن الامن القومي العربي، والتصدي لما يسميه النظام التهديدات الإيرانية للعرب! ومن الطبيعي أن تتخلى هذه الأمة عن الانسياق في سياسات هذا النظام الطائشة، عندما لاحظت وبالتجربة الحية ما تسبب بعض الدول العربية من خراب ودمار وعدم الاستقرار وأستتاب الأمن بسبب سياسات هذا النظام وحماقات بن

يضاف الى ذلك ، بل الاخطر، هو أن النظام السعودي بدأ يتحرك علينا للارتماء في احضان العدو الصهيوني، ويدافع عن هذا العدو ويعرف له بالقدس لتكون عاصمة له وباعتراف ترامب، ويتأمر على قضية الشعب الفلسطيني عليناً عبر ما يسمونه صفقة القرن التي يريد الامريكان اطلاق فصولها الاولى في مؤتمر البحرين في نهاية حزيران الجاري بدعم السعودي أيضاً ، كل ذلك وغيره كشف حقيقة هذا النظام في تحالفه ودعمه مع تواطئه الصهيوني عدو الامة الاسلامية ومقدساها فذلك كان له الاثر الفعال في ابعاد الدول الاسلامية، ورفضها ليكون مركزاً لإدارتها ..

ذلك فضلاً عن انكشاف العهد السلماني لنظام آل سعود بأنه نظام مستبد وقاتل ولا يعترف لا بحرية الرأي ولا حرية معتقد ولا ديمقراطية، وللعل الاعدامات الأخيرة بحق الناشطين والناشطات، ثم اغتياله للصحافي الذي خدمه أكثر من 40 سنة جمال خاشقجي في القنصلية السعودية في اسطنبول، ثم محازره بحق الشعب اليمني.. لعل كل ذلك وغيره، ما ساهم مساهمة في رؤية وموافق الدول العربية والاسلامية الجدية تجاه هذا النظام، والتي اتخذت هذه الدول بموجب تلك الرؤى والموافقات مسافات بعيدة عن النظام وسياساته الطائشة في المنطقة.